**نظرية السياق والتداولية:**

**تجاوز الدرجات التداولية:**

يأخذ مفهوم السياق في التحليل التداولي بعدا أعمق من اللسانيات الاجتماعية، فهو أحد أهم مرتكزات اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء استعمالها، إنه آداة إجرائية يتميز بها التنظير اللساني التداولي على مستوى اللغة ، وعلى مستوى السياق الاجتماعي والثقافي والنفسي؛ حيث يقسم الدراسون التداولية إلى ثلاث درجات تتحدد كل درجة على أساس تشغيلها للسياق، فتداولية الدرجة الثالثة مثلا تتعلق بتطبيقات أفعال الكلام في سياقها اللغوي وتشتغل على توظيف السياق بعمق في تحليلاتها، حيث يؤدي السياق وظيفة رئيسية في كشف مقاصد المتكلم الظاهرة والخفية، وهو ما يجعل من السياق انتشارا في مجالات معرفية متعددة، فهو يتوزع« عبر فضاءات معرفية كثيرة منها ماهو مرتبط بالمتكلم والمتلقي وشروط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان... وغيرها».

ويمكن القول أن التداولية بعدها علم الاستعمال اللغوي ضمن السياق أو طرائق استعمال العلامات ضمن سياق ما، يمكن أن تسمى أيضا بالسياقية كما هي عند "**ماكس بلاك"(max blak)** ، وأن مفهوم السياق في التنظير التداولي يتجاوز الإصطلاح إلى الإجراء العملي، حيث أن السياق كما يرى **علي آيت أوشان** في تحليله للمفهوم عند الباحثة **فرانسواز أرمينكو**  مفهوم مركزي يمتلك طابعه التداولي، لا نعلم حدود بدايته ونهايته، اتساعه يجعلنا نعبر من درجة تداولية إلى أخرى، فهو إما:

**سياق ظرفي فعلي وجودي مرجعي؛** وهوالمحدد للنتماء المتخطابين وهواياتهم، وبيئتهم المكانية والزمانية، وهوما يحدد مفهوم التداولية عند **بارهيل ومونتاك** بأنها السياق وما يجمعه من أفراد موجودين في العالم الواقعي.

**سياق مقامي تداولي؛** وهوما تفهمه الجماعة المنتمية إلى نفس الثقافة على أنها ممارسة خطابية.

**سياق تفاعلي؛** ويقصد به تسلل أفعال اللغة في مقطع متداخل الخطابات.

**سياق إقتضائي؛** وهو الإقتضاءات التي يحدس بها المتلقون للخطاب من اعتقادات وانتظارات ومقاصد.

ويمكن أن نجمل هذه الأقسام في صنفين هما السياق اللغوي وغير اللغوي،أو كما قسمه اللغوي "**فيرث**" إلى**السياق اللّغوي:** و يتمثل في العلاقات الصوتية، و الفونولوجية، و المرفولوجية، والنحوية و الدلالية. وإلى**سياق الحال:**و يمثله العالم الخارج عن اللغة، بما له صلة بالحديث اللغوي، و يتمثل في الظروف الاجتماعية والبيئة النفسية و الثقافية للمتكلمين أو المشتركين في الكلام.

وهكذا يكون السياق اللغوي هو مجموع العناصر اللغوية التي تحيط بجزء من الملفوظ،ويكون السياق غير اللغوي هو مجموع المقتضيات غير اللغوية التي يتحدد بمقتضاها الملفوظ على أنه رسالة في زمان و مكان محددين، و هذه العوامل تتصل بالمخاطب و المُخَاطَب و ظروف الخطاب المختلفة.

ونجد صاحب " **السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة**" وفي إطار التداولية وإجراءاتها السياقية، يتحدث عن أفعال الكلام وعلاقتها الكبيرة بالسياق؛ فنجد معه أن السياق يعضد أفعال الكلام في أي خطاب؛ حيث « يغير كل فعل كلامي لغة السياق، إذ تكلف المسألة المخاطب مثلا الجواب، وهذا ما يستدعي الإعتراض، ويؤثر السياق في عرض القول بتعديله، لأن السياق هو أثر أفعال اللغة السابقة، وسبب أفعال اللغة اللاحقة»، فيتضح أن علاقة السياق بأفعال الكلام هي علاقة سبب بمسبب أو مسبب بسبب، فيؤثر كل فعل كلامي في السياق، ويؤثر السياق في تعديل القول.

إن لأفعال الكلام **قوة( Forces )**، وكذلك لكل فعل كلام **لازم فعل الكلام**، وكلاهما يستلزم الاتفاق والتواضع ( السياق)، حيث لا قيمة للمفردات أو لأفعال الكلام بعيدة عن سياقها، وينتج عن هذا دراسة أفعال الكلام التي يوجهها المتكلم داخل السياق، وفي إطار البيئة المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب.

وتفصيل ذلك ، أن في كل خطاب يوجد على الأقل شخصان، أحدهما فاعل حقيقي أو متحدث مبلغ لرسالة ما، والآخر فاعل من جهة الإمكان مستمع منصت، وهما فاعلان ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية واحدة؛ أي طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة،تتفقفي ضروب القيام بالفعل المشترك الانجازي، وطوال مدة معينة من الوقت فإن نشاط عضوين (فأكثر) من الجماعة قد تتسق وتنتظم على معنى أن المتكلم ينتج عبارة أو ربما ليس ذلك فحسب، وإنما يصير فاعلا وينجز عددا من الأفعال الإنجازية.وهذا التوصيف لبديهيات الموقف التواصلي يفترض إعادة بناء وتركيب خاصياته في إطار البناء السياقي للخطاب.

حيث تكون الخاصية الأولى للسياق هي **الميزة الديناميكية المحركة**، فليس السياق مجرد حالة لفظ وإنما هو على الأقل **متوالية من أحوال وهيئات**اللفظ، حيث توجد مجموعة لا متناهية من السياقات الممكنة التي يستطيع أحدنا أن يكون له فيها أوضاع مخصوصة؛أو هي حالة السياق الواقعي، ويتحدد **السياق الواقعي** بفترة من الزمان والمكان، بحيث تتحقق النشاطات المشتركة لكل من المتكلم والمخاطب.

وهكذا ؛ فإن السياق في التداولية يجب أن يتوفر فيه متكلم ومستمع واحد على الأقل، خطاب أو وحدات لغوية قد تتضمن أفعال كلام ،ثم تنزل هذا الخطاب في زمان ومكان معينين، على أن تكون هذه الوحدات اللغوية حاملة لمعان محددة، ومن ثمة تصبح أسئلة التداولية: من يتكلم؟ وإلى من يتكلم ؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ كيف نتكلم وماذا نقصد؟ أسئلة تبحث عن إجابات سياقية، ويصبح السياق محور التداولية.

وتعمل **المعرفة المشتركة** Mutualknowledge أوالأرضية المشتركةCommon Ground أو العلاقات الرابطة بين المتكلم والمتلقي دورا في بناء سياق الخطاب،لوجود خصائص جامعة في أطراف الحوار أي أحوال إنجاز أفعالهم في السياق الواقعي، وبهذا الاعتبار توجد وظيفتان في السياق، وظيفة حال التكلم ووظيفة حال المخاطب، بحيث نتعرف على كل حال في السياق وفقا لما يكون فيه الشخص المشارك في المحادثة ، وتقتضي أساسيات التواصل أن لا يكون المتكلم مستمعا في ذات الوقت، ومن ثمة فإن تقاليد الحوار والمحادثة تقضي بأن المشارك المستوفي وظيفة حال التكلم يمكن أن يسمى في الحوار المتكلم، والمشارك المستوفي وظيفة حال التخاطب يمكن أن يسمى المخاطب، والجامع بينهما هو المعرفة اللغوية حيث «تشكل " المعرفة اللغوية" امتلاك المتكلم السامع لـ" الأوضاع " المتعارف عليها في عشيرته اللغوية، أي القواعد التي تكون نسق لغته. هذه القواعد، كما أسلفنا، قواعد تربط بين الخصائص البنيوية للغة والخصائص الوظيفية ».

إن إطراف المحادثة في علاقتها مع المعرفة المشتركة تعيد ترتيب السياق وفق شكلين جامعين هما:

\_ السياق المستقل الحاضر في أذهان أطراف المحادثة والذي يمكن افتراضه مسبقا في التعبير اللفظي.

\_ نواحي وجوانب السياق والتي تصبح ذات صلة وتؤخذ بعين الإعتبار بسبب المؤشرات الضمنية غير اللغوية أو أساليب بيانية في التعبير تنبئ عن شعور المتكلم.

نصل إلى القول، إنه بدون هذه المعرفة المندرجة في سياق ما لا يمكن الجزمبالموضوع الذي يدور الكلام حوله، وفوق ذلك كله لا يمكن فك شفرات الخطاب القائمة على المراوحة بين أفعال الكلام و حال التكلم، ومندون دون هذه المعلومات المستوفاة من المعطيات (المعرفة الابستيمية) الأساسية لا يصح وجود الفعل المشترك والفعل الإنجازي على الإطلاق، وإذن فإن جزءا حاسما من البنية السياقية ينبغي أن يكون ذلك التغيير الحاصل في المجموعة المعرفية (الابستيمية) للمشاركين في الخطاب وبموجب هذا التغيير يمكن أن تحدد بداية السياق ونهايتها[[1]](#footnote-1).

وتزيد البحوث التداولية في معالجها للسياق تحليلا أعمق، حيث يستعمل التداوليون مفهوم **التمام السياقي** باعتباره محددا رئيسا لعملية التأويل Interpretation[[2]](#footnote-2)، ويقصدون به أن الخطاب والكلاميحمل في طياته تفاصيلنجهلها،هذه التفاصيل من قرائن والمعينات في جلاء المعنى وبيان الدلالةيحملها السياق ، كما أن الجمل أو الملفوظات بلغة التداوليين تحتاج إلى التمام السياقيContextualCompletness أي أن تكون الجملة أو الملفوظ غير كاملة في حد ذاتها، لكنها كاملة إذا أخذ سياقها بعين الاعتبار ، ويمكن القول أن التمام السياقيعند التداوليينيقابل التمام النحويGrammatical Completness في الدرس العربي،مع أن «التمام السياقي درجة أو حالة من حالات الخطاب أعلى من التمام النحوي،إذ يمكن أن تكون الجمل التامة نحويا غير دالة من حيث طلب النحو للتركيب المستوفي شروط العمل النحوي من غير نظر في استيفاء الدلالة أو انعقاد المعنى. »[[3]](#footnote-3).

من خلال ما سبق نصل إلى أن التحليل التداولي هو ذلك التحليل السياقي الذي يراعي المقامات التي يتنزل فيها الخطاب، وهي أنواع شتى: السياق اللغوي، السياق العاطفي، سياق الموقف، السياق الثقافي... نجملها كما أجملها الباحث طه عبد الرحمن[[4]](#footnote-4):

أولا : **العنصر الذاتي** ويشمل معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته ورغباته.

ثانيا: **العنصر الموضوعي** ويشمل الوقائع الخارجية الظروف الزمانية والمكانية المصاحبة للخطاب.

ثالثا: **العنصر الذواتي**ويشمل المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، أو العادات والتقاليد الاجتماعية المتفق عليها بداهة بين المتكلم والمستمع.

1. فان دايك، النص والسياق ، ص 261، 262. [↑](#footnote-ref-1)
2. ينظر إدريس مقبول، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية،عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط1، 2011.ص:155. [↑](#footnote-ref-2)
3. إدريس مقبول، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية ، ص:155. [↑](#footnote-ref-3)
4. طه عبد الرحمن اللسان والميزان أو التكوثر العقلي:221. [↑](#footnote-ref-4)